وزهر الكرفلى ...

كنت امشي .. يمشي بي الضجيج .. يلوكني .. يرجني ...

« حبيب ـ كريستال ـ أرتي ـ قليبات سخان ـ بريس ـ صباح بريس » . آ .. ه .. ش .. ي

الآخرون يمشون .. كلنا نمشي في اتجاهين متعاكسين من شارع الحرية

ـ كم لك من عين يا هذا ؟

ـ طبعا عينان .. يا آنستي !

ـ اذن لم لم ترني فصدمتني ؟

ـ لم أرك لانك دميمة

ـ خزوق ...

طق .. طا .. ق .. طق .. طاق .. حذائي يصفع الشارع الذي كتبوا عليه « شارع الحرية »

شرطي يقود متشردا صغيرا ... قال بعضهم : « انه حشرة ... دوما يقلق رواد حانة الحرية بتسولاته .. الان خطف فولة من صحن أحد السكارى ... »

رجل ثمين الهندام تقياته الحانة فاخذ يزحف نحو سيارة « ٤٠٤ » رابضة على مقربة . تعلقت عيناي بحذاء الرجل .

حذاء من ذلك النوع الذي يكتب عليه في الواجهات ٢٥٠،... .. تضخم الحذاء ... تضخم .. تضخم حتى أصبح الرجل كله حذاء يحمل رقم ٢٥٠،... يزحف نحو سيارة « ٤٠٤ »

أسرعت قليلا ودست على الحذاء ثم خلفته ورائي وواصلت صفح الشارع بحذائي المتواضع ..

ـ الوقت من فضلك ؟

ـ الوقت شديد يا أخي !

ـ لا .. أقصد الزمن ..

ـ الزمن امرأة عاهر « لا تمشي » الا مع « الاسياد »

ـ مجنون انت اذن !!...

ألقيت نظرة على الشرطي يقود الصبي « مبتعدا » ... ثم قلت كالهامس : نعم ! أما مجنون ... لانني في شارع يسمونه « شارع الحرية » .

تلقفني مقهى ... احتضنني فيها كرسي .. هرع الي النادل :

ـ ماذا يشرب سيدي ؟

ـ لست سيدا يا رفيقي .. ولا أتشرف ان اكون كذلك ... أعطني قهوة سوداء .. ودون سكر .

كان أبي خماسا كمعظم سكان القرية ... كنا نسكن كوخا في ركن من ضيعة احد الاسياد . ويجاورنا خماسة اخرون باكواخهم الطينية .

كان أبي يحب الارض والثيران ، وكانت هوايته اصلاح المناجل والمحاريث ... كان يبذر شبابه في الاثلام مع الحبوب فينبت للسيد قمحا وشعيرا وحمصا وفولا ... يجني الخماسة الصابة ويحملونها الى مخزن السيد ...

كم هو كبير مخزن السيد ! وكم هي سمينة الفئران هناك !.. رأيت مرة فأرا منها ـ وكنت صغيرا ـ فقلت لامي : « انظري هذا الفأر ... انه سمين مثل السيد تماما .. » فنهرتني مخافة ان يسمعني احدا! وكم كانت دهشتي كبيرة عندما أقارن بين تلك الفئران واخواتها في كوخنا اذ هي عندنا نحيلة وضئيلة ...

« تفضل .. هي ذا قهوة سوداء .. ودون سكر » !

كان شتاء تلك السنة قارسا وشديدا .. وكان الخماسة يعانون ازمة المؤونة .. و « السيد » يرفض ان يعيرهم ولو حبة .

حقد أبي والخماسة على « السيد » عندما منعهم الحب الذي انتجوه فثاروا ... اجتمع الخماسة في كوخنا وقد عمق الحقد في نفوسهم فبرعم وأورق ... قام أبي يهتف بهم : « هيا بنا الى المخزن ... الى المخزن ... المخزن .. من الجبن أن نموت جوعا وتسمن الفئران .. اولادنا اتفه من الحشرات ؟! » .

قاد أبي الخماسة وهاجموا المخزن . ولاول مرة رأيت أبي يتحدى « السيد » ! لاول مرة سمعته يصرخ في وجهه « لا ! » فبدا لي اكبر من حجمه ليقول للسيد « لا ! » .

ـ اتركوا القمح هناك .... أنا قلت اتركوه !

ـ لا ... لا ... لن نترك القمح ، انه قمحنا ... ! .

وصاح الخماسة مع أبي : نعم هو قمحنا .. قمحنا !..

ـ يا للوقاحة ! بل هو قمحي انتجته ارضي .. أجننتم ؟

الأرض والبنادق المعبأة

رأيتهـــم ...
على نبات الصبر يكتبون ...
وبالاصابع المجرحة
قصائد الغضب
رأيتهـــم ...
يستنفرون ما وراء
موتهم
ويدخلون نصف كوكب
الغبار واللهب
رأيتهـــم ...
وغبت في عيونهم ...
فسافر الطريق
في دمي وأضلعي
وما يزال راكضا ..
بلا تعب

* * *

أنا الذي عرفت
من تصادم السماء بالسماء
ومن شجار الموت والحياة
كيف تولد الاسماء ...
وكيف تسقط الاسماء ...
.....
أنا الذي قتلت
حارس المساء
شربت من دمائه المدنسة
اكلت نصف وجهه
صنعت منه خيمة منكسة
وقبل غزو الليل ...
أقبل الترابِ صائحا
ورافعا يده ...
ـ يا أيها الرجال ـ
لا تتركوا المساء يطفىء
الحريق في دمائكم ..
لا تتركوا الرمال ،
والاملاح ،
والروائح المهرّبة
تحط في عيونكم ...
فالارض ،
ثم الارض ،
تم الارض
والبنادق المعبأة ...
على تخوم البرق
تنتظر
وفي السواحل المجاورة ...
مستقبل الذهول والمطر

* * *

حبيبتي ..
يا زهرة البكاء والفموض
لا تكاشفي الزمن
وعانقي أصابع الفرار والحضور
عانقي
فها أنا ..
أتيت حاملا معي ...
أتيت حاملا
براءة الوطن

حلب — عصام ترشحاني

ـ كنا مجنونين وعادت الينا عقولنا الان ... الارض ارضنا نحن .. الارض لمن يحفرها بأظافره ويسقيها بعرقه ، وليست لمن يجنـــي ثمارها وهو في انسرير ... الارض أرضنا كفاك ما ابتززت منا فـــي غفلتنـــا ! ..

فغرت عينا السيد تلهثان ... تدلى لسانه مصلوبا ... جـــف ريقه ... تكور ثم تسطح ثم تكور ثم تسطح .. الخ .. احمرت اوداجه ... ازرق .. اصفر ثم ارتمى على الارض يفترشها .

حمل الخماسة القمح الى اكواخهم واكلوا وشبع صغارهم ... ذبح ابي دجاجة وطهت أمي عشاء لذيذا ... لكن القانون لم يترك معدهم تهضم ما أكلوا ... فيأهم ما اكلوا لانه حرام ، حرمه هو القانون كما تقيأتهم الضيعة بأمر عاجل من القانون .

وحشر أبي بين فكي زنزانة من حراسة مشددة ... منعوا عنـــه الهواء والنور مخافة ان تنشر أنفاسه في المدينة الزانية .

« القانون لا يعترف بملكية العمل انما يعترف بملكية الورانـــة والشراء » هكذا قال الناطق الرسمي باسم القانون لابي يوم محاكمته ..

* * *

قبالتي في الشارع أمام المقهى متسولة تربعت تحت الحائط . على ركبتها رضيع ، يدها ممدودة تستعطف المارة ... في عينيهـــا يعتشش البؤس ويورق الحدق على دموع الالم ...

ـ شرطي ينتصب امامها يصيح فيها فتنفرع اليه .. يشرع عليهـــا عصاه فتدس رأسها بين ركبتيها وترفع يديها .. يتهددها .. عصاه تتهددها ... ثم يومىء الى عربة المزابل بينما كانت مارة تجمع الفضلات من الشارع فتتوقف لحظة ثم تواصل سيرها وأنظر فلا أرى المتسولة !!!

ـ مشطتك جميلة ... (سيدتان بجانبي تترشفان عصير البرتقال):

ـ أوه ، صحيح ؟

ـ أقسم لك .. من هي الحلاقة ؟

ـ واحدة في روما ... أتعامل معها منذ سنة ...

ـ عنوانها من فضلك .. سوف أقضي عطلة آخر الاسبوع هناك ..

ولا بد ان أزورها انغرس الزجاج في أصابعي .. تحطمت الكأس ... حملق فيّ الحاضرون وهرع اليّ النادل يطلب ثمن القهوة والكأس المحطمـــة ..

ووقفت أنا أمص الدم من جراحي ... يمتص الجراح دمي .. وقطرة من الدم سقطت على الارض .. أخذ قطرها يتسع ويمتد ليغمرني .. ليغمر المقهى . وما زال قطرهـــا يتسع ويمتد ويمتد ...

تونس — مصطفى التواتي